باب المراسلة والمناظرة

لبنان ومصر [1]

النص الرسمي للخطاب الذي ألقاه صاحب العزة الدكتور طه حسين بك في الحفلة التكريمية التي أقامها له معالي نائب رئيس مجلس الوزراء وزير التربية الوطنية الأستاذ حبيب أبو شهلا .

سيدي صاحب الدولة الرئيس ، سيدي صاحب المعالي الوزير ، سادتي :

يقول المثل العربي القديم : تسمع بالمعيدي خير من أن تراه . ولم أشعر قط بصدق هذا المثل كما أشعر به الآن . فقد كنت أعلل نفسي سعيداً بأن أهل هذه البلاد الكريمة يحسنون الظن بي ويضيفون إليّ شيئاً من فضل، لأنهم يسمعون بي أكثر مما يرونني . ثم أراد فضلكم العظيم أن تستقبلوني وتحتفوا بي هذه الليلة وتتفضل معالي وزير التربية والتعليم فأهدى إليّ هذا الثناء الجميل الذي سمعتموه وهأنا ذا أنهض لأؤدي بعض ما يستوجب هذا التفضل من الشكر، فإذا أنا مقصر لا أقدر على شيء، ومفحم لا أجد ما أقول، ومصدر هذا العي أمران : أولهما أني أعجز الناس عن الشكر حين تهدى إليّ النعمة ، ويسدى إليّ الجميل، لأني أرى كل ما يقدم إليّ من فضل أعظم مما استحق وأجل من أن ينهض به الشكر . فأنا في رأي نفسي أقل جداً مما يظن الذين يتفضلون عليّ بالثناء . وتقولوا بأني لا أقول هذا تواضعاً ولا تكلفاً للتواضع ، وإنما هو رأيي في نفسي وفي كل ما يصدر عني من قول وعمل . وأقسم ما أتيت شيئاً من الأمر وما قلت شيئاً وما كتبت شيئاً إلا وهو في نفسي أقل مما كنت أريد وأهون جداً مما يرى الناس فيّ ومما يتفضلون به عليّ من ثناء . الأمر الثاني: أني لا أرى نفسي إلا فرداً من الأفراد ، وعمل الأفراد مهما يكن أهون من أن يحتفل به أو يؤبه له . لذلك أعتقد أن ما تتفضلون به عليّ الليلة من احتفاء إنما هو موجه إلى مصر . ومن حق لبنان أن يكون لمصر حفيًّا ، ومن حق مصر أن تحفي بلبنان ، فإن الأمر بينهما على ما فيه من رفع الكلفة خليق بالاكبار حقيقا . فهذان الوطنان الكريمان قد تعاونا دائماً على الخير ، وتظاهرا دائماً

(١) الدكتور طه حسين بك قالها في حفلة تكريمه في لبنان

على تحقيق المنفعة الانسانية الكبرى ، وأؤكد لكم ان التعاون الخصب بين مصر ولبنان أقدم عهداً وأبعد مدى مما يظن المتجاهلون في الحكم .

فنحن لا نكاد نرى وطنينا في فجر التاريخ القديم إلاّ متعاونين على الخير متظاهرين على نشر الحضارة والثقافة . ولقد كانت ممفيس والاسكندرية يعملان على نشر الحضارة والثقافة والمعرفة متعاونتين على ذلك مع صور وصيدا كما تتعاون القاهرة الآن مع بيروت على نفس هذا الغرض النبيل . فالود بين مصر ولبنان قديم ، والتعاون بين مصر ولبنان بعيد المدى ، عظيم الخطر ، لا يقتصر نفعه عليهما وحده . بل يتجاوزهما إلى جميع الأوطان التي تحب الحضارة وتريد أن تنتفع بها . وما دام الأمر قد جرى على هذا النحو في الماضي فمن الطبيعي أن يجري عليه إلى أبعد آماد المستقبل ، فانه قانون طبيعي من قوانين الجوار بين هذين الوطنين الكريمين . فلا غرابة اذاً في أن يتبادلا الثناء ، ويتهاديا المعروف ، ويقدرا كل منهما لصاحبه نصيبه في تحقيق المنفعة الانسانية العليا .

وقد تفضل حضرة صاحب المعالي وزير التربية والتعليم فأثنى على ما لي من مشاركة في الهدف ومن حظ في الانتاج الثقافي والأدبي . فاسمحوا لي أن أعيد عليكم حقيقة من الحقائق الأولية في تاريخ الأدب العربي الحديث ، ولكني أرى أن تكرارها واجب لأنه أداء للحق واعتراف بالفضل لاصحابه ، وهي أن الأدب الحديث في مصر وفي الشرق العربي كله مدين بنهضته لعلمائكم وأدبائكم الذين سبقوا في القرن الماضي إلى العناية بدرس الأدب العربي القديم واحيائه كما سبقوا الى توثيق الصلة بين العقل العربي الشرقي والعقل الأوربي الغربي . وأنا رجل أنفقت حياتي في التعليم وتعوّدت ألاّ أرسل الأحكام عفواً دون أن أقيم عليها الأدلة . وما أحب أن ألقي عليكم الآن محاضرة في تاريخ الأدب العربي الحديث فانما يكفي أن أذكر بعض الأسماء فذكرها يغني عن كل دليل . يكفي أن أذكر اليازجي والبستاني وصرّوف وزيدان وأن أذكر الضياء ودائرة المعارف وترجمة الاباذة والمقتطف والهلال . فهذه الأسماء كلها واضحة الدلالة على ما فات من أن علماءكم وأدباءكم سبقوا الى احياء الأدب العربي وتحقيق الصلة بينه وبين الآداب الأوربية الكبرى . فمن زعم لكم من أدباء الشرق العربي المعاصرين انه ليس مدين للبنان بشيء من أدبه ، فهو منكر للحق كافر للنعمة جاحد للجميل

سادتي : ان كثيراً من الناس يزورون بلادكم الجميلة في فصل الصيف ويلتمسون فيها الراحة والاستمتاع بجمال الطبيعة ، وأنا أشاركهم في هذا ، ولكن أخص نفسي بمتعة لا يكاد يشاركني فيها أحد . فأنا لا استمتع في بلادكم بطبيعتها الرائعة ونسيمها العذب وثمراتها المختلفة المتشابهة الحسن . وانما استمتع فيها بأدب رائع غض فيه لذة للنفس وحياة للقلب

وتغذية لعقل . واذا كان الجيل المعاصر قد أعرض عن صنة الجيل الماضي في احياء الأدب القديم والتعمق في دراسته ، فان له من الأدب الرفيع حظاً عظيماً سواء في ذلك الشعر والنثر . ثم انا لا استمتع بأدبكم الذي يتخذ اللغة الفصحى أداة للتعبير فحسب ، وانما استمتع بأدبكم الشعبي الرائع الدقيق النفاذ .

فاذا أنعمتم عليّ بأن لي حظاً من أدب ، فانما تمنون على أنفسكم ، لأني مدين لكم بهذا الأدب . وكم كنت أريد أن أؤدي اليكم بعض ما لكم من حق ، وأن أشكر لحضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية فضله العظيم ، ولحضرة صاحب الدولة رئيس الوزراء عطفه الكريم ، ولحضرة صاحب المعالي وزير التربية والتعليم كرمه الجم وثناءه العذب وجميله الذي طوقني به تطويقاً معنويًا قبل أن يطوقني به تطويقاً ماديًا كما ترون ، ولكن لساني كله هذه الأيام السعيدة التي أقضيها فيه ، ولكني كما ترون عاجز عن أن أبلغ ما أريد . وأنا مع ذلك معروف بطول اللسان ، ولكن ربّ نعمة قصرت أشد الألسنة طولاً ، والواقع أن نعمكم قد أخرستني فليتولّ الله شكركم عني فانه على ذلك قدير .

حول كتاب محمد عبده

للدكتور عثمان أمين

حضرة رئيس تحرير المقتطف

قرأت في باب مكتبة « المقتطف » (ص ١٨٥ عدد فبراير سنة ١٩٤٥) ما تفضلتم فخصصتم به كتابي عن « محمد عبده » الذي ظهر في مجموعة أعلام الإسلام منذ شهور .

وإني مع وافر شكري لجميل عنايتكم بالكتاب وحسن ظنكم بمؤلفه ، أرجو أن تسمحوا لي بكلمة موجزة رداً على بعض الملاحظات التي أوردتموها في آخر المقال .

لاحظتم أنني لم أتعرض في كتابي للكلام عن صلة محمد عبده بالحركة العلمية التي ظهرت في الغرب وفي الشرق بقيام مذهب التطور والنشوء . وهذا حق ، فانني أغفلت الكلام عن هذه المسائل وأشباهها في مذهب محمد عبده ، لأني إنما أردت أن يكون كتابي في « أعلام الإسلام » تجلية لسيرة الأستاذ الإمام . أما الخوض في فلسفة محمد عبده وآرائه الدينية والاجتماعية ، فقد جعلت له مؤلفاً آخر مستفيضاً ، كتبته بالفرنسية منذ سنوات في « آراء محمد عبده الفلسفية والدينية » وهو البحث الذي قدمته إلى جامعة السربون لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة ، وتقوم الآن بطبعه وزارة المعارف .

وقلتم حضرتكم ، في معرض الكلام عن موقف الشيخ محمد عبده والسيد جمال الدين الافغاني من أنصار مذهب « التطور » إن « الخطوة التي خطاها السيد والشيخ كانت خطوة علمية ولكن إلى الوراء ... والحق إن الكلام في ذلك كان خارجاً عن مجالها ، فلم يصيبا فيه ولم يوفقا في قصدهما التي وجهاها إلى المذهب الذي قلب نواحي الفكر في القرن التاسع عشر » .

وملاحظتي على هذا القول أنه إن صحّ إلى حدٍّ ما بالقياس إلى السيد جمال الدين ، فليس يصح مطلقاً بالقياس إلى الشيخ محمد عبده : فإن الاستاذ الامام كان موقناً بحقيقة التطور ، مناصراً له على نحو لم يسبق اليه . وأكثر من هذا أنه أراد ان يطبق معاني ذلك المذهب ، ولكن في صورة روحية ، على العقائد الإسلامية ، وأن يجعل له في تفسير القرآن نفسه مكانة ظاهرة ، وهذا ما أخذه عليه بعض المحافظين من الازهريين . بل إن للشيخ لطريقة طريفة في فلسفة التاريخ الديني ، يتجلى فيها هذا الاتجاه بوضوح ، وقد تناولها بالعرض والنقد في فرصة أخرى . وهذا وكثير غيره قد بسطته في بحثي الفرنسي الذي أشرت إليه ، وستظهر ترجمة له عن قريب .

بقي أنكم استدركتم على لفظ « اللاهوتي » الذي استعملتهُ وصفاً للاستاذ الإمام باعتباره صاحب مذهب في الدين . وقد آثرتم حضرتكم أن يترك هذا الاستعمال للكلام في اللاهوت المسيحي ، وذهبتم إلى أنه « لا يوجد لاهوتية في الإسلام ، ولا يوجد لاهوتيون عند المسلمين » .

ولكني أعرف أن الدين شيء واللاهوت شيء آخر ، وأن الدين يسبق اللاهوت : ذلك أن الاتصال الديني وإدراك الأمور الإلهية بالحدس الغامض ، عملان سابقان على عمل الفكر الذي يروّي ويتأمل مسائل الدين . فاذا صح أن في المسلمين ، كغيرهم من أهل الأديان ، مَنْ يشعر شعوراً دينيًّا ، ومنهم مَن يفكر في المسائل الدينية تفكيراً عقليًّا ، فلست أرى وجهاً لأن نقصر استعمالنا للاهوت على التفكير في الدين المسيحي . (١)

ولعلكم حسبتم أن اللفظ لم يستعمل في لغتنا العربية كما استعمل في اللغات الأفرنجية . ولكن الواقع أن لدينا نصوصاً كثيرة ورد فيها ، وبخاصة عند المشتغلين بتاريخ الملل والنحل من مؤلفي العرب . يضاف الى ذلك أن لأهل التصوف من المسلمين نظريات معروفة في

(١) من غرائب الصدف أني وجدت حضرة الاستاذ نفسه ، في كتاب له ، يصف الشيخ محمد عبده بقوله « كبير لاهوتي مصر في القرن الماضي » ! (« الى السبيل » ص ١١٢) .

التفريق بين ما يسمّونه « عالم اللاهوت » و « عالم الناسوت » .. الخ ، ولا يسمح المقام بالخوض فيها . فاذا كان اللفظ مستعملاً في اللغة العربية ، وكان المعنى الذي يؤديه معنىً عامًّا لا يقتصر على دين خاص ولا يختص بملة بعينها ، فليس العدول عنه إلى غيره ؟

ولا يسعني أخيراً إلاّ أن أوجه أصدق التحية والتقدير لأدبكم العالي في النقد ولفنائكم البارعة في العرض والسلام

دكتور عثمان أمين

تتمة لبحث العرب عرفوا أميركة

جاءنا من حضرة الأب أنستاس ماري الكرملي الكلمة الآتية :

زارني الأستاذ محمد عبد الجواد الاصمعي ، من كتبة دار الكتب المصرية في ٢٠/١/١٩٤٥ فذكرت له ان مجلة المقتطف تنشر مقالا في جزء فبراير عنوانه : « عرف العرب أميركة قبل أن يعرفها أبناء الغرب » . فقال : وهل ذكرت في هذا الصدد ما جاء في الجزء الاول من مسالك الابصار ص ٣١ المطبوع بمطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٤ ؟ قلت لا . وما هذا النص ؟ قال : سأنقله لك نهار غد وأبعث به اليك . وفي اليوم جاءني ودونك نصه :

« تخيل علماء الاسلام لوجود أميركة قبل اكتشافها بقرن ونصف »

« وقال شيخنا فريد الدهر أبو الثناء محمود بن أبي القاسم الاصفهاني امتع الله به .

« لا أمنع أن يكون ما انكشف عنه الماء من الأرض من جهتنا ، منكشفاً من الجهة الاخرى . وإذا لم أمنع أن يكون منكشفاً من تلك الجهة ، لا أمنع أن يكون به من الحيوان والنبات والمعادن مثل ما عندنا ، أو من أنواع وأجناس أخرى[1] والذي ظهر لنا من ذلك عقلاً ونقلاً ذكرناه . وبالله التوفيق .

هذا ما ورد في الجزء الأول من مسالك الابصار وتعليق المرحوم شيخ العروبة زكي باشا على هامش ما أورده . فأرجو إحقاقاً للحق وخدمة للتاريخ الاشارة إلى هذا . وتفضلوا بقبول وافر الاحترام

محمد عبد الجواد الاصمعي
بدار الكتب المصرية

---

(١) للاصفهاني (وهو يعبر افضل السبق على كرستوف كولومب (وهو بالاندلس) لانه قال بهذه النظرية بقرن ونصف قرن . وللاصفهاني فضل أكبر على مكتشف أميركا : لانه تخيل وجودها بقوة الفطنة والاستدلال . وأما كولومب فتخيل فقط وجود طريق جديد يوصل اليه من جهة الغرب . توفي ابو الفدا في سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨) م وأما كولومب فقد اجتهد في اقناع فرديننند وايزابلا صاحبي الاندلس بصحة نظريته في سنة ١٤٩٢ ميلادية (الموافقة لسنة ٨٩٨ هـ)